درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٤

المصادر التي استند اليها ابن عبد ربه (تابع)

المبرّد

ويأخذ عن المبرّد محمد بن يزيد الازدي النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ[١]، تلميذ الجاحظ، فينقل من كتابه الشهير «الكامل» الذي رجع اليه نفر كبير من الادباء في القرن الرابع للهجرة كابي الفرج الاصبهاني وغيره. وينقل من غير الكامل اخبارًا نثرها في العقد[٢]، مشيرًا في بعض الاحيان الى مصدرها، وساكتًا في بعض الاحيان الاخرى عن ذلك. ونحن اذا رجعنا الى العقد (٣: ٢٤٠—٢٤١) نرى ان كثيرًا مما دوّنه في هذا الموضع قد نقله عن الكامل (ص ٣٩١ — ٣٩٦) دون ان يشير بكلمة الى ذلك. كذلك نرى ان بعض اخبار الازارقة[٣] مأخوذة عن الكامل ايضاً (ص ٥٨٦—٥٨٧). واخذ ابن عبد ربه ايضاً عن كتاب آخر للمبرّد هو كتاب الروضة[٤]. ولقد ردّ على اشياء وردت فيه[٥]. والغريب انه مع كل ما اخذه عن المبرّد قد ذمّه ونعى عليه كتاب الروضة وهزأ به، قال: «الا ترى ان محمد بن يزيد النحوي على علمه

---

١) ابن النديم ١: ٥٩

٢) ابن عبد ربه ١: ٢٠٧ و٢٢٧ و٢٢٦ و٢٩٨ و٣٨٢؛ ٣: ١٧٨ و٢١٧ و٢٢٠ و٤٠٤

٣) ابن عبد ربه ١: ٢٦٤ — ٢٦٥ ٤) ابن عبد ربه ٣: ١٧١ و٢٦٨

٥) ابن عبد ربه ٣: ١٧١

باللغة ومعرفته باللسان وضع كتاباً سماه بالروضة وقصد فيه الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الّا ابرد ما وجد له حتى انتهى الى الحسن بن هانئ ، وقلّما يأتي له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة نيته وعذوبة الفاظه ، فاستخرج له من البرد ابياتاً لم سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها وهي :

الا لا يلمني في العقار جليسي ولا يلحني في شربها بعبوس
تشقها قلبي فبغض عشقها اليّ من الاشياء كل نفيس

«واين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكره في كتاب الموالي فقال : «ومن الموالي الحسن بن هانئ وهو من اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيه» . . . وجل اشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها فخطر بها كلها وتخطاها الى التي جانسته في برده . فما احسبه لحقه هذا الاسم المبرّد الا لبرده .»[1] وقد زعم على المبرد ايضاً ما اختاره في الروضة لابي العتاهية من الاشعار التي زعم ابن عبد ربه انها تقتل من بردها[2] .

ابن المقفع

ويأخذ عن عبدالله بن المقفع المتوفى حول سنة ١٣٩ هـ[3] فينقل عن كتابه الادب الصغير[4] وعن كليلة ودمنة[5] . كما وانه ينقل في بعض الاحيان عنه ، دون ذكر رجوعه الى كتاب بعينه كأن يقول مثلاً « قاله او وقال صاحب كليلة ودمنة[6] ، او قال ابن المقفع[7] . ولا يتسع الوقت لدرس ما اذا كان رجع الى كتب ابن المقفع او انه اكتفى بما اخذه عنها ابن قتيبة فنقله عنه .

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦١ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٩
٣) Cf. Huart, *Ibn Mukaffa'* [The Encycl. of Islam, vol 2, p. 404]
٤) ابن عبد ربه ١ : ٦
٥) » » ١ : ٢٨٥
٦) » » ١ : ٥٢ و٢١٣
٧) » » ١ : ٢٧٣ و٣٠١

سيبويه

واخذ ابن عبد ربه عن سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث النحوي الشهير المتوفى سنة ١٧٧ هـ [١] . وهناك اشارة صريحة الى انه اطلع على كتابه ، اذ قال في بيت من الشعر اورده للفرزدق: «وهذا آخر كتاب سيبويه .» [٢] ويذكر بيتاً من الشعر ويقول: وقد استشهد به سيبويه في كتابه» [٣] . كذلك ينتقد سيبويه في استشهاده ببيتين في كتابه اورد قافيتها منصوبتين ، وزعم ان النصب هو على اعراب الشيء على المعنى لا على اللفظ — واللفظ يقتضي الجر — ويخطأه ويظهر له ان القافية مجرورة وان البيتين هما من قصيدتين مجرورتي القافية ثم يقول : « فما كان يضطر سيبويه ان ينصبهما ويحتال على اعرابها بهذه الحيلة الضعيفة» [٤] . وقد نستدل من هذا الخبر ، اذا صح ان ابن عبد ربه هو اول من نبه اليه ، على سعة اطلاع صاحب العقد ومعرفته بكثير من اشعار العرب القدماء . ولكن يجوز ان يكون قد نقل انتقاده هذا عن مصدر آخر . وكتاب سيبويه هذا انما هو كتاب النحو الذي قال فيه المبرّد « ركبت البحر تعظيماً له واستعظاماً لما فيه» [٥] . وقال المازني القديم: « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ » [٦] .

ابن سلام

ولم يفته الرجوع الى محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ هـ [٧] فقد اخذ عنه واشار الى ذلك في موضعين من العقد دون ان يعيّن كتاباً [٨] . وهنا

---

١) ابن النديم ١ : ٥١
٢) ابن النديم ٢ : ٢١
٣) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٠
٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٧١
٥) ابن النديم ١ : ٥١
٦) ابن النديم ١ : ٥٢
٧) J. Hell : مقدمة « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحي ، طبعة برل ، ليدن سنة ١٩١٤ ، ص XII
٨) ابن عبد ربه ١ : ٢٨٦ ، و٣ : ٢٨٢ — اما كتب ابن سلام فهي ، فيما يذكر ابن النديم ،

لا نستطيع ان نعلم هل اخذ عنه مباشرةً او انه نقل عن ادباء اخذوا عنه .

ابو عبيدة

واستقى ابن عبد ربه من كتب ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى بين سنتي ٢٠٧ و٢١٣ للهجرة [١] . فنقل عن كتابه التاج [٢] ، واخذ عن ابي عبيدة في مواضع كثيرة ، ولم يذكر الكتاب الذي رجع اليه بل كتفى بذكر المؤلف فقط [٣] . وقد اسند ابن عبد ربه اكثر اخباره عن وقائع العرب في كتابه الدرّة الثانية في ايام العرب ووقائعها الى ابي عبيدة دون ذكر لكتاب ما . واذا رجعنا الى الفهرست لابن النديم [٤] ، نرى ان بين الكتب التي وضعها ابو عبيدة كتاباً اسمه « الايام » كذلك نرى في كتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، (طبعة القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ج ١ ص ٨٤) : « وقال ابو عبيدة في كتاب ايام العرب » . فلا يبعد ان يكون ابن عبد ربه قد اخذ اخباره هذه عن الكتاب المذكور ، لا سيما وفي كتاب ابن عبد ربه في ايام العرب اسهاب وتطويل . وقد ذكر فيه خبر اكثر من ثمانين واقعة اسند اكثرها الى ابي عبيدة . وروى القلقشندي في كتابه صبح الاعشى قال : «ولابي عبيدة مصنف مفرد في ايام العرب ، وقد اورد منها ابن عبد ربه في كتاب « العقد » جملة مستكثرة » [٥] .

ابن وحشيّة

ويجوز انه استقى من بعض كتب ابن وحشيّة ابي بكر احمد [او محمد]

(١ : ١١٢) كتاب الفاصل في ملح الاخبار والاشعار ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، كتاب طبقات الشعراء الاسلاميين ، كتاب الملاب واجر الخيل .

١) ابن النديم ١ : ٥٣

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٦ ؛ و٢ : ٥٢ و٥٥ و٦١ و٢٨٧

٣) ابن عبد ربه ١ : ٥٣ و١٩٣ و٢٢٢ ؛ و٢ : ٥٥ و٦١ ؛ و٣ : ٦٠

٤) ابن النديم ١ : ٥٤

٥) القلقشندي ١ : ٣٩٣

ابن علي الكلداني النبطي، الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة[١]، اذ نقل عن كتابه الفلاحة بعض الاخبار الى كتاب الزبرجدة الثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان غير اننا نظن ابن عبد ربه قد نقل اخباره هذه عن ابن قتيبة الذي سبقه في النقل عن الفلاحة[٢].

واخذ عن المفضل بن محمد الضبي، وعن الاصمعي، وعن الشيباني، والعتبي، وابي جعفر البغدادي، وابن الكلبي، والزبير بن بكار، وحماد، والغزالي، والهيثم بن عدي، وابي غسان تلميذ ابي عبيدة، والرياشي، وابن شهاب الزهري، والعجلي، والكلبي، ووهب بن منبه، ومكحول، والاوزاعي، والتيمي، والمدائني، والشعبي، والقتالي، وغيرهم. ولبعض هؤلاء كتب في النوادر والاخبار ذكرها ابن النديم[٣]. ولا يتسع المقام لدرس ما اذا كان نقل عن كتب مدوّنة لهؤلاء او انه اخذ رواياتهم عن كتب لغيرهم من الذين تأخروا عنهم. واذا علمنا ان ابن قتيبة قد اخذ عن اكثر هؤلاء ادركنا صعوبة معرفة الحقيقة الخالصة.

ابن هشام

ويرجع في بعض الاحيان الى ابن اسحق، صاحب السيرة والمغازي؛ ويظهر انه لم يأخذ عنه رأساً، بل اخذ عن ابن هشام حيث يقول: «قال ابن اسحق صاحب المغازي لما نزل رسول الله» الخ ... ثم يكمل الخبر مسنداً الى ابن هشام[٤]. ويقول في موضع آخر: «ومن ذلك ما رواه ابن اسحق صاحب المغازي وابن هشام. قال ابن اسحق كذا الخ» ... ثم يقول: «وقال ابن

---

١) [The Encyc. of Islâm, vol. 2, p. 427] في المقالة المهمة *Ibn Il'ahsbiyyah* التوقيع.

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥ و٢٥٨ : وراجع ابن قتيبة ٢ : ٨٤ و٩٤ ؛ وترى ان قسماً كبيراً من اخبار ابن عبد ربه عن طبائع الانسان والحيوان منقول عن ابن قتيبة

٣) ابن النديم ١ : ٨٨ و٩٥ و٩٦ و١٠٠ و١٠٤

٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢١

هشام»[1] ويأخذ احياناً عن ابن هشام دون ذكر ابن اسحق ، كأن يقول مثلاً: «قال ابن هشام»[2] الخ ...

التوراة والانجيل وغيرها

وهناك بعض المصادر الغريبة كالتوراة مثلاً ، والانجيل ، وكتب الفرس ، وكتب ارسطوطاليس ، وكتب الهند ، وغيرها . فقد ذكر اخباراً منقولة عنها في عقده . ولكن ترى هل اخذ هذه الاخبار عن هذه المصادر مباشرة ام بواسطة ابن قتيبة وغيره من الذين رجعوا اليها في كتبهم ؟ يقول الاستاذ جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية: «ان ابن عبد ربه لم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه.»[3] ويظهر ان الاستاذ زيدان يذهب في هذه العبارة الى ان ابن عبد ربه نقل عن ترجمات هذه الكتب ، لا عن الاصول اليونانية والهندية والفارسية. ولكن هذه الترجمات عرفت عند العرب قبل زمن ابن عبد ربه ، وقد سبق المشارقة الى النقل عنها قبله ، ونخص بالذكر الجاحظ وابن قتيبة فقد نقلا عن بعض كتب ابن المقفع وعن بعض الكتب المنقولة عن اليونانية والهندية. واذاً فقد اقتصر ابن عبد ربه فيما جمعه على ما عرفه العرب في المشرق . ولا نظن ان الاستاذ زيدان يرى ان ابن عبد ربه نقل عن الاصول مباشرة ، كما يظهر من قول ابن عبد ربه الذي اشار اليه الاستاذ زيدان[4]: «وفي كتاب للهند او «وفي كتب ارسطوطاليس» . لان هذه الاخبار منقولة عن ابن قتيبة او عن الجاحظ . واذا رأينا كثرة ما نقله ابن عبد ربه عن ابن قتيبة ادركنا سهولة اخذه مثل هذه الاخبار مع اسانيدها كأن يقول مثلاً: «وفي كتاب للهند ان كذا الخ»[5] فيوردها بالحرف كما اوردها ابن

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٢١

٢) » » ٣ : ٢٢ ، و ٣ : ١٢٢ ٣) زيدان ٢ : ١٧٤

٤) لاحظ قول زيدان: «وهو يشير الى ذلك في كلامه» في القطعة التي نقلناها عنه.

٥) ابن عبد ربه ١ : ٨٠ [وليلاحظ ان هذه المواضع التي يذكر فيها اخباره عن كتب الهند قد ادخلها في كتابيه السلطان والحروب اللذين اكثر فيهما النقل عن ابن قتيبة].

قتيبة نفسه : « وقرأتُ في كتاب للهند ان كذا الخ »[1] . وربما من الخير ألّا نجزم في ان ابن عبد ربه لم يطلع على الترجمات الاصلية من كتب ابن المقفع وغيره لاسيما كتب الروم ، فقد قال في عقده : « وقرأت في كتاب للروم »[2]

اما اخباره المنقولة عن التوراة والانجيل ، وبالاخص الاخير منها ، فانا نرجح ايضاً انه نقلها عن ابن قتيبة الذي ذكرها في عيون اخباره في باب الزهد . ولقد وضعها ابن عبد ربه في عقده في كتاب الزمردة في المواعظ والزهد[3] . غير انه اكتفى بالقليل مما نقله ابن قتيبة عن التوراة والانجيل . ويظهر ان الاخيرين — رغم ما يقال عن احتكاك نصارى الاندلس بمسلميها وشغفهم في قرطبة بدرس اللغة العربية وآدابها وعلومها — لم يترجما الى العربية في تلك البلاد ، او انهما ترجما ولم يصلا الى ايدي العلماء المسلمين بحيث يستطيع اديب مثل ابن عبد ربه ان ينقل عنها مباشرة ويكون في غنى عن الاستناد الى ابن قتيبة . ومهما يكن من الامر فان ابن قتيبة هو صاحب الفضل الاول في ذكر هذه الاقسام الصغيرة من التوراة والانجيل باللغة العربية ، ويظهر من كلامه انه قرأ بعضها في نسخ عربية[4]

القرآن والحديث

بقي القرآن والحديث ففي العقد منهما شيء كثير ، وبالاخص الحديث ففيه منه طائفة ليست يسيرة منتثرة في كل اجزائه . وقد ذكر ابن عبد ربه هذه الاحاديث دون ذكر الكتب التي قد يمكن ان يكون اخذها عنها . غير انه

---

١) ابن قتيبة ١ : ١١٣

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٤ ، وراجع ٣ : ٤٣٠ تر : « وفي بعض الكتب المترجمة » .

٣) قابل بين ابن عبد ربه ١ : ٢٥٦ و٢٥٧ سطر ٢٩ ، و٢٥٧ سطر ٣ ، و٢٥٨ وبين ابن قتيبة ٢ : ٢٦٨ و٢٦٦ ، و٢٧٥ — ٢٧٦ و٢٧٦ ويرى القارئ انه حيث يذكر ابن قتيبة التوراة يذكرها ابن عبد ربه ، وحيث يسند ابن قتيبة اخباره هذه الى مثل وهب بن منبه او غيره يسندها ابن عبد ربه اليهم .

٤) ابن قتيبة ٢ : ٢٧٠ وقرأت في الانجيل : « لا تجعلوا كنوزكم في الارض حيث يفسدها السوس » الخ .

رجع في عقده الى موطأ مالك بن انس[1] الذي كان معروفاً في الاندلس يوم ذاك . واذا ذكرنا ان ابن عبد ربه من الفقهاء ادركنا سهولة حفظه لكثير من الاحاديث بحيث يستشهد فيها بعقده دون الرجوع الى الكتب التي دونتها .

الدواوين الشعرية

اما الدواوين الشعرية التي يمكنه ان يكون قد رجع اليها فلا نستطيع معرفتها او ضبطها او حصرها لاسيما وهو يدوّن في العقد اشعاراً لاكثر من مئتي شاعر لا نعلم من اين اخذها . انما لا نشك في انه كان على اطلاع على شعر اهمّ الشعراء المتقدمين في المشرق كجرير ، والفرزدق ، والاخطل ، وابن ابي ربيعة ، وابي نوّاس ، وابي تمام ، ومسلم ، وابي العتاهية وغيرهم .

الخشني وابن وضاح وابن مخلد

ولم يفت صاحب العقد ان يدوّن بعض الامور عن اساتذته في الاندلس الذين ذكرهم ابن الفرضي : الخشني ، وابن وضّاح ، وبقي بن مخلد[2] . وقد اخذ عن هؤلاء نتفاً من الاخبار عن العلماء والادباء في المشرق ، وشيئاً من آراء بعض الائمة بخصوص النبيذ وشربه ، وقليلاً من اخبار امراء الاندلس الذين تقدموه ولم يدركوا عصره . وقد اشار الى انه اخذ عن هؤلاء في عدة مواضع[3] وقد كان احد هؤلاء الخشني محمد بن عبد السلام من قرطبة ، وكانت له رحلة الى المشرق ودخل البصرة وسمع من علمائها ولقي بها ابا حاتم السجستاني ، والعباس ابن الفرج ، والرياشي ، وابا اسحق الزيادي ، واخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة روايةً عن الاصمعي وغيره ، ودخل بغداد ، وحجّ مكة ، ودخل الاندلس كثيراً من حديث الائمة وكثيراً من كتب اللغة والشعر الجاهلي ومات سنة ٢٨٦ هـ »[4] .

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٨ و٢١٥ ٢) ابن الفرضي ١ : ٢٧

٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٠٤ و٢٤١ و٢٥٢ ؛ ٢ : ٥٦ و٦٠ ؛ ٣ : ١١٦ و٤١٦ وغيرها وفي ابن عبد ربه ١ : ٢٠٤ . أملى ابو عبدالله محمد بن عبد السلام الخشني (كذا) وفي ٢ : ٦٠ : حدّث بقي بن محمد (كذا) وكلاهما تحريف عن الخشني ومخلد .

٤) السيوطي ٦٧

واما بقيّ بن مخلد بن يزيد القرطبي فقد ذكر عنه ، نقلاً عن ابن حزم ، انه صاحب التآليف التي لم يؤلف مثلها في الاسلام ، وانه لقي ٢٨١[1] شيخاً[2]. وذكر في موضع آخر ان ابن حزم قال: « اقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره »[3]. وقد انكر عليه بعض علماء الاندلس بعض التصانيف التي نقلها من المشرق ، لاسيما مصنف ابن ابي شيبة غير ان الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي امتحن الكتاب ثم قال لخازن كتبه: « هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا . » وقال لبقي: « اكثر علمك وارو ما عندك ». ونهاهم ان يتعرضوا له[4] . وذكر المقرّي عن ابن حزم ايضاً ان تصانيف بقي صارت قواعد الاسلام لا نظير لها ، وانه كان متخيراً لا يقلد احداً[5] . وذكر في موضع آخر ان بقيًّا هذا طاف المشرق عراقه وشامه وحجازه[6] وتوفي بقي سنة ٢٧٦ هـ[7].

اما ابن وضاح فقد ذكر ابن ابار صاحب التكملة اسماء كثيرين ممن لزموه ورووا او اخذوا عنه[8]. ويظهر انه كان في قرطبة ايضاً اذ ان المقري يذكر عن قاسم بن اصبغ البياني احد علماء الاندلس انه سمع بقرطبة من بقي ابن مخلد ومحمد بن وضاح[9]

واذا عرفنا ان كثيراً من الاخبار التي دونها ابن عبد ربه في عقده عن ادباء المشرق ورواياتهم وعاومهم لم يذكر اسنادها ، وان الخشني وبقيًّا اساتذته قد نقلا كثيراً من هذه الاخبار الى الاندلس ، ادركنا كثرة ما يمكن ان يكون قد اخذه عنهما ودوّنه بعقده . (للبحث صلة)

---

١) المقري ١ : ٥٨٩ ، يذكر ان عدد شيوخه ٢٣٤

٢) المقري ١ : ٢٥٠ ، و٣ : ٧٧١ ٣) المقري ١ : ٥٦٠ و٣ : ٧٧١

٤) المقري ١ : ٥٩ ، ويظهر ان بقيًّا لم ينسَ صنيع محمد معه فقد حدث ابن عبد ربه مادحاً اياه وقال له: « ما كلمت احداً من الملوك أكمل عقلاً ولا ابلغ لفظاً من الامير محمد » الخ (ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٠) ٥) المقري ١ : ٥٦٠ و٣ : ٧٧١

٦) المقري ، طبع اوربة سنة ١٨٥٥ — ١٨٦٠ ، ١ : ٨١٣ ٧) المقري ١ : ٥٨٩

٨) التكملة لكتاب الصلة لابن ابار ، طبعة المطبعة الشرقية بالجزائر ١٣٣٧ و ١٩١٩ م ص ١٣ و١٤ و١٦١ و١٦٥ و١٨٥ ٩) المقري ١ : ٢٥٠